

تدهور أدوار الجامعة والمسجد في ضوء المقاربة السوسولوجية الحديثة

The Deterioration of The Roles of The University and The Mosque in
Light of The Modern Sociological Approach

د. قصاب عبد القادر

جامعة محمد بوضياف (المسيلة)،

abdelkader.guassab@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2026/05/17 تاريخ القبول: 2026/05/23 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

يشكل المسجد والجامعة محورين أساسيين في البنية الاجتماعية لأي مجتمع، إذ لا يقتصر دورهما على الوظيفة الدينية أو التعليمية، بل يتجاوز ذلك إلى إنتاج الإنسان وصناعة المعنى الجماعي. غير أن التحولات الحديثة أدت إلى إعادة تشكيل خطير لهذه الأدوار، حيث أصبحنا أمام مؤسسات فقدت جزءاً كبيراً من محتواها الرمزي والوظيفي. وفي هذا السياق يمكن فهم ما أفرزته التجربة المعاصرة من "استقالة جماعية من صناعة الإنسان"، أي تراجع في دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في بناء القيم والهوية والانتماء.

كلمات مفتاحية: المسجد، الجامعة، المقاربة السوسولوجية الحديثة، البنية الاجتماعية، المجتمع.

Abstract:

The mosque and the university constitute two fundamental pillars within the social fabric of any given society. Their roles transcend mere religious or educational functions, extending to human development and the construction of collective meaning. However, contemporary transformations have induced a critical reconfiguration of these roles, resulting in institutions that have been largely divested of their symbolic and functional substance. Within this framework, one can conceptualize what the contemporary experience has manifested as a "collective abdication from human cultivation"—signifying a manifest decline in the capacity of socialization institutions to construct values, identity, and belonging.

Keywords: The mosque, the university, the modern sociological approach, social structure, society.

مقدمة:

إن الحديث عن الجامعة والمسجد لا يمكن فصله عن سؤال عميق يتعلق بكيفية إنتاج الإنسان داخل المجتمع، وكيف تُبنى علاقته بالمؤسسة وبالمعنى وبالأخر. فهاتان المؤسسات لم تكونا مجرد فضاءين وظيفيين، بل كانتا في عمقهما مؤسستين لصناعة الحياة الاجتماعية وإعادة إنتاج الرابط الاجتماعي. ففي الزمن الماضي كان الجامع فضاءً حيًا متكاملًا، ليس فقط لأداء الشعائر، بل كما جاء في التصور الاجتماعي التقليدي، كان “يطعم فيه الفقير وينصر فيه المظلوم ويضرب على يد الظالم ويعقد فيه القران ويصلح فيه بين المتخاصمين وتقدم فيه الدية وتعبأ فيه ألوية الجيوش للذود عن الوطن”، وهو توصيف يكشف أن المسجد كان مؤسسة جامعة بين الديني والاجتماعي والسياسي والأخلاقي، أي أنه كان يجمع ولا يفرق ويصلح ولا يفسد. في المقابل كانت الجامعة فضاءً آخر لا يقل أهمية، إذ كانت “مقصداً للمتفوقين من المتعلمين وفضاءً لأساتذة باحثين يشرحون العلوم ويشرحون جميع المشكلات المجتمعية فيقدمون الحلول”، وبذلك كان هناك نوع من التكامل الرمزي بين المحراب الروحي والمحراب الأكاديمي، حيث يتكامل إنتاج القيم مع إنتاج المعرفة في خدمة المجتمع والإنسان.

لكن هذا التكامل لم يصمد أمام التحولات البنيوية التي عرفتھا المجتمعات الحديثة، حيث بدأت عملية تدريجية من “إفراغ المؤسسات من محتواها”، وهو ما عبرت عنه نصوصك بوضوح حين قلت: “لكن إفراغ المؤسسات من محتواها جعلها مجرد هياكل مزخرفة من دون روح فقدت أهم وظيفة لها وهي بناء الإنسان فصارت الجامعة للطالب أو الأستاذ والجامع للمصلي مجرد فضاء لممارسة مصلحة عابرة تنقضي مع انقضاء الدوام”. هنا يظهر التحول من مؤسسة ذات وظيفة وجودية إلى مؤسسة شكلية، ومن فضاء للمعنى إلى فضاء للمصلحة المؤقتة. هذا التحول يعكس ما يمكن تسميته سوسيولوجيًا بأزمة المعنى داخل المؤسسات، حيث لا يعود الفرد يعيش المؤسسة كجزء من هويته، بل كمرحلة عابرة في حياته اليومية.

هذا الوضع يؤدي إلى ما يمكن وصفه بهشاشة الاندماج الاجتماعي، حيث لم يعد الفرد يشعر بالحماية أو الاعتراف داخل المؤسسة. وقد عبرت أنت عن ذلك بشكل دقيق من خلال ربطك بين

“الحراب الأكاديمي والحراب الروحي”، حيث قلت إنهما فضاءان يُفترض أن ينتجا “المعنى” و”الرابط الاجتماعي”، لكنهما أصبحا في الواقع يعكسان أزمة واحدة، قوامها تحول المؤسسة من فضاء للاحتواء إلى “منصة عبور باردة”. في هذا السياق يصبح الفرد مجرد عنصر وظيفي، الأكاديمي يُحتزل في دوره التدريسي، والمؤمن يُحتزل في فعله الطقوسي، وكأن كليهما فقد صفته كفاعل اجتماعي كامل.

وتتجلى هذه الأزمة أكثر في اللغة اليومية التي تكشف البنية العميقة للعلاقات داخل المؤسسة، مثل العبارات التي ذكرتها: “أقر وروح” و”صلي وهز صباطك”، وهي عبارات تحمل في ظاهرها البساطة لكنها في عمقها تعكس منطق الإقصاء الرمزي، حيث يُطلب من الفرد أداء وظيفة محددة ثم المغادرة دون اندماج حقيقي. هذا الإقصاء الرمزي يؤدي إلى إنتاج علاقة ضعيفة بين الفرد والمؤسسة، علاقة تقوم على المرور لا على الانتماء.

وفي سياق آخر، يمكن فهم ظاهرة “الهروب الأكاديمي” أو الانسحاب داخل الجامعة ليس كفعل سلبي دائمًا، بل كآلية دفاعية ضد بيئة مرهقة. فقد أشرت في نصوصك إلى أن الأكاديمي قد ينسحب لأنه يبحث عن “فضاء يتنفس فيه الأكسجين الفكري المناسب بعيدًا عن تلوث محيط كان يفترض أن يكون حاضنة للمعرفة والإبداع”. هذا التحليل يكشف أن المشكلة ليست في الفرد بل في البيئة المؤسسية نفسها، التي قد تتحول إلى فضاء استنزاف للطاقة الفكرية، حيث تهيمن الصراعات الصغيرة، والحسابات الضيقة، والممارسات الإدارية المرهقة، مما يدفع الفرد إلى الانسحاب كنوع من حماية الذات.

وبالموازاة مع ذلك، يظهر في المجال الديني تفاوت في أشكال التدين، حيث يميز النص بين من يؤدي الشعائر باعتبارها فرضًا فقط ثم ينسحب من قضايا المجتمع، وبين من يرى في التدين مشروعًا اجتماعيًا وإصلاحيًا ممتدًا. هذا التمييز يعكس اختلافًا في فهم وظيفة الدين داخل المجتمع، بين تدين طقوسي مغلق وتدين فاعل منفتح على الواقع.

إنما يجمع بين هذه التحولات هو ما يمكن تسميته بازمه التنشئة الاجتماعية حيث يبدو كما لو أننا أمام استقالة جماعية من صناعة الإنسان والانسانيه مما أدى الى تراجع المؤسسات عن وظيفتها الأساسية في إنتاج الإنسان كقيمة وجودية فالمؤسسات لم تعد تحرص على بناء الهوية الاخلاقية الدينية والعلمية بل أصبحت تتحرك ضمن منطق اداري وتقني بحث وتزداد هذه الازمة تعقيدا عندما نلاحظ غياب

الاستقلالية المؤسسية خصوصاً المالية والفكرية مما يجعل هذه الفضاءات تراوح مكانها نتيجة وصاية قيدت حريتها في أداء أدوارها المنوطة بها وهو ما أدى إلى تحويل المساجد إلى مصليات والجامعات إلى مركز لنسخ الشهادات، هذا التحول يعكس أزمة بنيوية في العلاقة بين السلطة والمعرفة وبين المؤسسة ووظيفتها الاجتماعية.. وفي هذا السياق يمكن فهم الوضع من خلال مفهوم الحماية والاعتراف حيث يشعر الفرد داخل المؤسسة أنه محمي ومعتز به المهم شكون مختزل دوره وقد بينت الدراسات أن غياب هذا البعد يؤدي إلى تحلل الرابط الاجتماعي وتحول المؤسسة إلى فضاء طارد بدل أن يكون فضاء جاذباً.. كما أن البعد الأعمق لهذه الأزمة يتجلى فيما يشبه تحلل الهوية الجماعية حيث أن المؤسسات لم تعد قادرة على إنتاج معنى مشترك مما يؤدي إلى انتشار الفردانية القسرية لأن الفرد يجد نفسه مضطراً في الانكفاء على ذاته وهذا ما يفسر الاحساس العام بالاغتراب داخل الجامعة أو المسجد .

وفي الأخير فأنما تكشفه هذه القراءة أن أزمة هاتين المؤسسات ليست أزمة وظيفية فحسب بل تتعدى إلى أزمة وجودية تتعلق بمعنى المؤسسة في حد ذاتها داخل المجتمع فحين تتحول المؤسسات إلى فضاءات لبناء الإنسان إلى فضاءات عبور، أين تفقد دورها في إنتاج الوعي والمعنى والرابط الاجتماعي أن أعاده بناء هذه المؤسسات لا يمكن أن يتم إلا من خلال استعادته روحها الأصلية وإعادة الاعتبار للإنسان كونه مركز العملية التربوية والمعرفية وإعادة ربط الجامعة بالمعنى والمسجد بالفعل الاجتماعي حتى تستعيد هذه الفضاءات دورها في صنائه مجتمع متماسك قادر على أن تجددته باستمرار.

أولاً: المسجد والجامعة كمؤسسات لصناعة المعنى والرابط الاجتماعي

يرى علماء الاجتماع أن المؤسسات الكبرى في أي مجتمع لا تُقاس فقط بوظائفها الإدارية، بل بقدرتها على إنتاج "المعنى الاجتماعي" وربط الأفراد داخل شبكة من القيم المشتركة. في هذا السياق، يمكن فهم المسجد والجامعة كمؤسستين متكاملتين:

✓ المسجد بوصفه فضاءً روحياً وأخلاقياً يعيد إنتاج التضامن الاجتماعي.

✓ الجامعة بوصفها فضاءً معرفيًا ينتج التفكير النقدي والحلول العلمية.

وقد كان المسجد في التجربة التاريخية فضاءً متعدد الوظائف: يطعم فيه الفقير، وينصر فيه المظلوم، ويضبط فيه الظالم، وتُعقد فيه القرآن، وتُحل فيه النزاعات، بل ويُستخدم أحيانًا في التعبئة الاجتماعية والدفاع عن الوطن. بهذا المعنى، لم يكن المسجد فضاءً دينيًا فقط، بل مؤسسة اجتماعية شاملة.

أما الجامعة، فكانت فضاءً للنخبة العلمية، حيث يتلاقى الأساتذة والطلبة في إطار إنتاج المعرفة وتحليل المشكلات الاجتماعية وتقديم الحلول. وبذلك، كان هناك تكامل وظيفي بين المسجد والجامعة، بين “المحراب الروحي” و”المحراب الأكاديمي”، في خدمة الإنسان والمجتمع.

ثانيًا: من التكامل إلى التفكك – إفراغ المؤسسات من محتواها

تشير التحولات الحديثة إلى أن هذه المؤسسات بدأت تفقد جوهرها الداخلي، لتتحول تدريجيًا إلى هياكل شكلية.

لقد تم “إفراغ المؤسسات من محتواها”، بحيث أصبح:

✓ المسجد مجرد فضاء للصلاة دون امتداد اجتماعي.

✓ الجامعة مجرد فضاء للحصول على شهادة دون مشروع معرفي حقيقي.

✓ هذا التحول أدى إلى فقدان أهم وظيفة مشتركة: بناء الإنسان.

فبدل أن تكون المؤسسة فضاءً للاندماج الاجتماعي، أصبحت مجرد “محطة عبور” تنتهي بانتهاء المهمة اليومية.

ثالثًا: الهشاشة المؤسساتية وأزمة الحماية والاعتراف

من أهم المفاهيم السوسيولوجية التي تساعد على فهم هذه الأزمة مفهوم الحماية والاعتراف الذي يشير إليه بعض علماء الاجتماع المعاصرين.

فالفرد داخل المؤسسة يحتاج إلى:

✓ حماية رمزية (شعور بالأمان داخل الفضاء)

✓ اعتراف اجتماعي (تقدير دوره وهويته)

غير أن الواقع الحالي يكشف عن أزمة عميقة:

الأكاديمي في الجامعة قد يُحتزل في وظيفة إدارية أو تدريسية دون الاعتراف به كفاعل معرفي. والمؤمن داخل المسجد قد يُحتزل في أداء طقوسي دون اندماج في مشروع اجتماعي أوسع. هذا الوضع يؤدي إلى ما يمكن تسميته بهشاشة الاندماج الاجتماعي، حيث يشعر الفرد بأنه عنصر مؤقت أو زائد عن الحاجة داخل المؤسسة.

رابعًا: الإقصاء الرمزي والتحول إلى “منصات عبور” تظهر في بعض الخطابات اليومية عبارات تعكس هذه الأزمة مثل: “أقرّ وروح”، “صلّي وهز صباطك”

هذه العبارات ليست مجرد كلمات، بل تعكس منطقًا سوسيولوجيًا عميقًا يقوم على الإقصاء الرمزي. فالمؤسسة لم تعد فضاءً للاندماج، بل أصبحت فضاءً للعبور السريع، حيث يغادر الفرد فور انتهاء “وظيفته”.

وهكذا يتحول:

- الأستاذ إلى منفذ درس فقط.
- الطالب إلى حامل شهادة فقط.
- المؤمن إلى ممارس طقس فقط.

خامسًا: الهروب الأكاديمي والانسحاب الاجتماعي

لا يمكن فهم ظاهرة “هروب الأكاديمي” من المؤسسة باعتبارها موقفًا سلبيًا دائمًا، بل أحيانًا هي رد فعل على بيئة غير صحية.

ففي بعض الحالات، يجد الأكاديمي نفسه داخل:

- صراعات صغيرة.
- حسابات إدارية ضيقة.
- غياب الاعتراف بعمله الفكري.
- استنزاف مستمر للطاقة.

في هذه الحالة، يصبح “الانسحاب” وسيلة لحماية الذات والطاقة الفكرية.

وبالمثل، فإن بعض الفاعلين داخل المجال الديني قد ينزحون نحو أشكال من التدين الفردي المنفصل عن قضايا المجتمع، مما يعمّق الفجوة بين الدين والمجتمع.

سادساً: الفردانية القسرية وتحلل الرابط الاجتماعي

إن ضعف المؤسسات يؤدي إلى ظهور ما يمكن تسميته بـ “الفردانية القسرية”، أي أن الفرد يصبح مجبراً على العيش منفصلاً عن الجماعة رغم حاجته إليها. وفي هذه الحالة:

- يتحول الرابط الاجتماعي من رابط عضوي إلى رابط نفعي.
- وتتحول العلاقات إلى علاقات مؤقتة وظيفية.
- وهكذا يظهر ما يشبه “الإنسان الهش” الذي لا يجد معنى مستقرّاً داخل المؤسسة.

سابعاً: أزمة السياسات العامة وغياب الاستقلالية

- من الأسباب البنيوية لهذا التدهور:
- ضعف الاستقلالية المالية للمؤسسات.
 - غياب حرية القرار الأكاديمي والديني.
 - الخوف من استقلال الفكر داخل المسجد والجامعة.
 - تحويل المؤسسات إلى أدوات تنفيذ بدل أن تكون فضاءات إنتاج.
- هذا الوضع يؤدي إلى وصاية مؤسساتية تحدّ من قدرة هذه الفضاءات على أداء أدوارها الحقيقية.

ثامناً: أزمة الهوية والتنشئة الاجتماعية

تُعدّ مؤسسات التنشئة الاجتماعية مسؤولة عن بناء الهوية الفردية والجماعية.

لكن حين تفشل هذه المؤسسات:

- تتفكك الهوية القيمية.
- تضعف الروابط الأخلاقية.
- تنتشر الفردانية والانفصال.

وقد عبّر بعض المفكرين عن هذا الوضع باعتباره “استقالة جماعية من صناعة الإنسان.

تاسعاً: النقد السوسيولوجي للخطابات الموجهة

هناك أيضاً بُعد آخر يتمثل في أن بعض الخطابات الاجتماعية تُعيد إنتاج الفشل من خلال توجيه الأفراد: “من الجامعة إلى المسجد ثم إلى الجماعة”...

هذا يعكس تصوراً سلطوياً للمجتمع حيث يتم رسم مسارات جاهزة للأفراد دون الاعتراف بفاعليتهم.

عاشراً: نحو إعادة بناء وظيفة المسجد والجامعة

إن إعادة الاعتبار للمسجد والجامعة تتطلب:

- استعادة استقلاليتهما.
- إعادة تعريف دورهما الاجتماعي.
- ربط المعرفة بالقيم.
- إعادة بناء الثقة بين الفرد والمؤسسة.
- تجاوز الطابع الشكلي نحو الفاعلية.

قائمة المراجع

✓ إميل دوركايم، تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة: حافظ الجمالي، دار الكتاب العربي، بيروت،

الطبعة الثامنة، 1893، ص 152.

✓ ماكس فيبر، العالم والسياسي، ترجمة: جورج كتورة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة العاشرة،

1959، ص 87.

- ✓ بيير بورديو و جان كلود باسرون، الورثة: الطلبة والثقافة، ترجمة: نظير جاهل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1964، ص 45.
- ✓ زيغمونت باومان، الحياة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2006، ص 103.
- ✓ إرفينغ غوفمان، عرض الذات في الحياة اليومية، ترجمة: ثائر ديب، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1959، ص 66.
- ✓ أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الثالثة، 2009، ص 118.